طارق عبد الفضيل



لا يقترب العاشق

لا يقترب العاشق

شعر

طارق عبد الفضيل

الناشر / دار الإسلام

سنة النشر / ٢٠١٩

رقم الإيداع /١٧٧٤٦/٢٠١٩

الترقيم الدولي/978-977-732-487-3

لوحة الغلاف

[أمل] للفنان البريطاني جورج واتس

لا يقترب العاشق

شعر

طارق عبد الفضيل

إهداء

إلى

الواقفين أمام الباب

ينتظرون الإذن بالدخول

أبداً أحاول

أبداً أحاول أن أكون فلا أكون

أبداً أحاول أن أفر من الجنون

إلى الجنون

هيهات أن ترضى الموانيءُ

أو تعود إلى المسافرِ

ضمة العشاقِ

في رحم الدروب

هيهات يسألني

و أسأل من يعود

ماذا سأربح من هواكِ

و من وقوفي في الطريقِ

أذود عن قلبي الغيوب؟

ماذا سأربحُ

إن سفحت الدمع بعدك .. ما أفيد؟

إنـي أحـاول

- صدقيني –

أن أهش الليل عن قلبي الوحـيد

الـحـزن بعدك ألف عام

والليل بعدك لا ينام

والشوق حين يؤوب من سفر النيازكِ

لا يمر ببابنا

وأنا الوحـيد مع النوافذ والكتاب

يغتالني عشق الذهاب

عبثاً وجودك في المرايا والصور

إن كنت حقاً سوف ترحلُ

ما بقاءك ها هنا ؟

إن الأماكن أضرمت سيقانها

حتى تضمك رعشةٌ

أو تحتويك يد المطر

إني أحبكِ ،

والنساء إذا خرجت إلى الشوارعِ

واقفاتٌ

في المداخلِ

خلف أستار النوافذِ

فوق أرصفة القمر

يزعمن أني قادم بنبوءةٍ

أني الشهيد المنتظر

وأجيء منتشحاً دمقس رجولتي

متكبراً

أزهو بأنك في الصباح حبيبتي

وبأنني الرجل الوحيدُ

تضمه عيناكِ في ولع السهر

لم لا أحبكِ ؟

هذه أشعاري

تتسول التحنان بالمزمار

لم لا ؟

وأنت البدء بعد توقفٍ

أنت الهنا

ونهاية الأسفار

إني أحبكِ

لن أسوف رغبتي

فالحب عندي منبع الأسرار

إني أحبك لن تضيع براءتي

وسط الزحام ، ولن أبيع قراري

وإذا فعلتُ ، فكيف أهرب من أسى عينيكِ

إن مرت بنا عيناكِ

عيناك ، ما عيناك؟ ما عيناكِ؟

وهج يزوجني السماء و يحتفي

بالبحر بين شواطيء النساكِ

عبث طفوليّ يلملم شقوتي

فيهز أركان الفضاء هواكِ

أمن العدالة أن يغيب الغيم دون تحيةٍ

فتغيض بعد فراقه الأنهار؟

أمن العدالة أن يحط الليل فوق جدارنا

فنفر من أعشاشنا الأطيار؟

أتراك يا زمن الفجاءةِ

قد عبثت بهمنا

فتركتنا

نمتاح من وجع القرون مرارة الخذلان؟

أتراك حين ضممتنا

أنكرتنا

فزرعت ما بين الوجوه حوائط النكران؟

إنـي أحبكِ

ليس وهماً أو كلاماً في الكتب

إنـي أحبكِ

سوف أحملها على صدري

براكين احتراقٍ

أو جبالا من غضب

مجنون كوكب

لا تغضبي

سأقول للطير المحلقِ

إن حبك مذهبي

وأبوح للعربان في نجع القمر

مجنون كوكبْ

لا أبالي أن يقول الناس مجنونٌ

فلي المجد المؤثلُ

إذ خلقتُ بحبك الشمس الوحيدة للبشر

لا تغضبي

إنْ ردد العُبّاد كوكبْ

في ابتهالات القيامِ

وردد الأطفال كوكبْ

في أغاني العيد ، في لعب الظهيرةِ

أو مسامرة المساء

فلقد ذكرتك للجميعِ

وتلك أغنيتي

أنا المجنون أسند ساعديه إلى الغناء

يمّمت نحو التلِ

هل تل البُوَيب سيذكر الوجه المعطرَ

بابتسامات الحبيبةِ

أم تراه سينكر القلب المعرف بالعناء ؟

لو كنت أعرف أن أزمنةً

ستزهر في شتاء العشقِ

ما أمطرتُ

لكنّ الحديقة غافلتني في مكابدة النساء

تلك ابتسامتها ،

عصافيرٌ ،

و رمانٌ ،

و مدخل جنةٍ

تلك ابتسامتها ،

غزالة مهجةٍ

تتحرق النيران شوقاً

لاستعادة مجدها ،

مجد الحرائق و البكاء

لا تغضبي

فالليل بعدكِ – إن غضبتِ – معذبي

ترنو إليّ الكائنات كأنني

ألبستُ تاريخ الهوى مأساتي

كل الموانع مسدلات بيننا

فمتى أعود إليك يا مولاتي؟

أعرف أنك عاشقة مثلي

عاشقةٌ

إذ تنكر أقوالك أحوال القلبِ

و تعترفين بغير كلامٍ

حين أطالع في عينيكِ

بلاداً تعرفني

و وجوهاً تتعشق صورة وجهي

عاشقةٌ

إذ أسكن في أركانكِ

تملأ أنفاسي رئتيكِ

و يخرج صوتك من حنجرتي

عاشقةٌ

أعرف أنك عاشقة مثلي

ساجدةٌ عيناك إلى عينيّ

منجذبٌ وقع خطاك إلى قدميّ

مهتاجٌ كفك ، محتاج لحنان يديّ

سأفتش عن وجعٍ

لأعود إليك .. تعودين إليّ

رحماكِ

دعيني أتنفس بعض الوقتِ

أنا مختنق الأنفاسِ

أفتش عن مأوى

أتعثر في جلبابي الأولِ

دون رفيق

هل أترك ناصيتي للريحِ

و أترك أجزائي مهملة في كل طريق؟

أعرف أنك عاشقة مثلي

و لذا أرفض أن أشرب غير مياهكِ ،

أرفض أن أحيا دون حريق

اعترفي بالحب .. خذيني

ضميني

بين ذراعيك أغيب عن الوعيِ

و أنثر فوق ترابك يأسي

و أنيني

اعترفي بالحب أذيقيني

شهد الكلمات

اعترفي

أخرج منْ وجع الصحراءِ

إلى هزج بساتيني

قلبي بيت مهجورٌ

يسكنه الخفاشُ

و تزحف حيات فوق شراييني

اعترفي

كي تولد منْ شفتيك براءتهُ

و يعود إلى نبض التكوينِ

اعترفي

فالعشق بعينيكِ

تغنيه الطيرُ

و يشربه شجر اليقطينِ

تأتين بحلمي باكيةً

في ضوء الشمعةِ

أبصر طفلين حزينين يعدان حليباً

ممزوجا بدموع الحرمان

يا ابن النيل

يا ابن مياهي و ترابي

هذا ليبن النشوةِ

فاملأ مصباحك من زيتي

و اصعد تلك المرقاة

إلى تمري و نبيذي

و امدد كفيكَ

فمزقْ عن وجهي أستار النسيان

باكيةً

ترتهزين أمامي

يلفحني ضوء البحرينِ

فيستاء بياض الأنهار

أتقدم نحوك محموماً

أقفز فوق رمالك عريانا

تبتسمين أمامي في شغفٍ

أتقدم محموماً .. أنهار

يا ابن النيل

يا ابن مياهي و ترابي

نجارٌ أنت فقرّب ألواحكَ

و اضمم كفيك إلى شطآني

و املأ إبريق الفخّار

فاض العطر عن القارورةِ

و انسكب العطر على مائدتي

فاضمم ساقيك قليلا

هذا الجسر سينهار

□

كوكب

إنها ترفل في سندس روحي

وتغني

إنها تحفر في أعماق روحي

ألف بئر للتمني

هل تراها ؟

حين مرت ، فتجنت

تركت قلبي شهيدا

ليتني كنت تراباً أو حديدا

أو فَناء شاملا ينفي الوجودا

ليت جسمي لم يسع روحي ، ولم

تعرف الدنيا بأوصافي وليدا

ليتني قبلكِ ما كنتُ ، ولا

بعد عينيكِ تجاوزتُ الحدودا

إنني مطفأةٌ كل قناديلي

فهل أسبح في عتمة عينيكِ

إلى الضوء بعيدا ؟

سارق الضوء رماني في الدجى

فتراني مغمض العين وحيدا

كوكبٌ مال على شرفتنا

ينشر العشق ، ويرتد صعودا

يترك العاشق في وهمهِ

يغرسُ الوجدَ

ويجنيه نشيدا

كوكبٌ يوقد من صفحة روحي

ويغني .

لا يقترب العاشق

[1]

لن تهرب مني الصورة

ستراوغني ، تنفلت مني

تهجرني حينا ، و تعود

فأنا العاشقُ

والصورة ، صورة معشوقي

[٢]

أحترقُ أنا العاشقُ

بعضَ الحجبِ

وأصبحُ قابَ ذراعينِ وأدنى

ينخلعُ القلبُ بسمتِ المعشوقِ

وتسقطُ أطرافي

اخلعْ نعليكَ ، ترجلْ

واركضْ فوقَ الجمرةِ يا حافي

أينَ ستأخذني يا مولاي أجبني

إنَّ طموحي لم يتعدَّ الخبزَ

ولم أشربْ - إذْ كنتُ جنيناً - لبنَ الإشرافِ

[3]

تحترق الجمرة أسمال القلبِ

وتلبسني الخرقةُ

أعرف أني الآن سأنجذبُ

إلى ظل ممدود

تلك يداه على استحياءٍ

تشتبكان ، وتنفرطان ، وتشتبكان

انهض ، أقدم ، ادخل ،

هذا ضوءك فانظر

أين تراه ؟

أغتسل أيا مولايَ

وأستر مكشوفاتي بزهور القضب

هل تأتي النحلةُ

- حين تواعدني -

فتطهرني من عسل النسيان

و تملأ أوردتي بلقاح العرفان ؟

[4]

أحترقُ أنا العاشقُ

إن حاولت إليك دخولا

أنت بعيد جداً

تمنعني عنك الدنيا

فأغمغم مذهولا

خفف أثقالك عن ظهري

يا مولايَ أنا أضعف من دُراجٍ

وطيور الغرقد تنتف ريشي

أفلا أجد لديك شجيرة سدرٍ

لتكون عريشي ؟

[5]

هل يقترب العاشق يا مولايَ

من المصباح ؟

هل يستطيع بفطرتهِ

هل أقدر و أنا العاشقُ

بالفطرةِ

أن أتلمس وجهكَ

دون دليل ؟

وجهك يملأ أقطار سماواتي

هل أنفذ من أقطاركَ ؟

هل ستقربني ؟

تمنحني دفء حنانكَ ،

تحملني في كفيك ، وتطعمني ؟

[6]

جوعانٌ

والتفاح أمامي

وفنَائي بين يديك هو المُلك الأبديّ

مولايَ ارحمني

لا تطردني من أفياء الجنةِ

يكفيني بعض الخبزِ

وتكفيني شربة ماء

لا تطردني للأرضِ

ودعني

في ملكوت سمائك

ألهج بالأسماء

[7]

أعترفُ بحبي بين يديكَ

وأخطو في دربك مغلولَ القلبِ

وأهمس للكوكب والنجمات

هل تعترفُ بحبك لي ؟

[8]

تتهم العاشق بالقسوةِ

حين يضم عليك الأحداقَ

ويسجد في ركن توحده

يا مولاي أنا عبدٌ

يخشى أن يقترب ، فيحترق ، فيُنفى

من جنة سيده .

متى ترجعين ؟

لماذا تخليتِ عني ؟

تركتِ الحدائق تبكي ذبولاً

ونارا ؟

وكان بكاء الحدائقِ

دوماً ثمارا

زهور البنفسج تسأل عنكِ

وتسأل عنك الطيور العذارى

وقلبي

الذي كان بئراً كزمزمَ

يروي الحجيج إليكِ

يفتش في الرمل عن قطرةٍ

ويلعق أرض السرابِ

ويشرب كأس القنوط أُوارا

متى ترجعين إلينا ؟

أجيبي

فبعدك في بيتنا تصفر الريحُ

باسم الرياحِ

وتهذي الغمامة

وبعدك تبكي الوسائدُ

دفء الشتاءِ

ويشكو السرير عظامه

وتجري الحوائط خلف النوافذِ

تسأل عن قادم بالسلامة

متى ترجعين إلى عشنا يا يمامة ؟

متى ؟ أسرعي

فبعدك لا شيء غير القيامة

إليكِ

سأنشر عطر المحبةِ

في كل دربٍ

وأنثر ورد انتظاري

على كل بابْ

أحدث عنكِ

وأسمع عنكِ

وألهج باسمك في كل نطقٍ

وأقرأه في حروف الكتابْ

حقيقة العشق

إني عرفتك ، فانتهت أقوالي

والعشق وجهي ، والصبابة حالي

اللفظ سجانٌ ، وسجنُ حقيقةٍ

والنطق إعراضٌ ، وسوء مقال

العشق يبدو في ارتعاشة معصمٍ

وذهولِ أطرافٍ ، وفيضِ كلال

العشق إخلاصٌ ، وذكرٌ دائمٌ

حمدٌ وتسبيحٌ بغير ملال

ليس الخيال تصوراً ، بل صورة

ليس التدله في الهوى بخيال

العين قائمة تهدهد دمعها

صهباءُ تنزف حمرة الإقبال

ترنو إلى شرق الحبيب وغربهِ

وإلى جنوب وجوده وشمال

وتطوف ، هل حب الطواف عقيدة
لمسافر في غمرة الترحال

العين تبحث في خزائن عشقها
عن سجدة في معبد الآمال

والقلب يأبى أن يعيش بغيرها
أتراه يرسف في قديم ضلال ؟

العاشق لا يسكت

[1]

العاشق لا يسكت

إن يسكت يهلك

لا بد لصوت العاشقِ

أن يخْرجَ

للكلمات بأن تغسل أدران الروح

[2]

كونٌ منْفتحٌ

ونهاياتٌ لا تأتي

والحرف الأول مشتقةٌ

لبريق الكلماتْ

أسوار حنيني شاهقةٌ

أتسلق من مشكاةٍ مبهمةٍ

فإذا العالَمُ تحتي

وأنا منْفردٌ

دون بداياتْ

يا جذْع الشجرةِ

يا تمر الأموات

هل أغرس في سقف العالمِ

أشجار الكلمات ؟

[3]

حال العاشق لا يُرضي أحدا

متهَمٌ في صمتٍ ، متهَمٌ في نطقٍ

متهَمٌ أبدا

[4]

لا يترُكُ بابَ المحبوبِ

محبٌ تيّمه البعدُ

وأضناه القربُ

وتبقى الكلمات بقاعِ المعجمِ

تشهدُ

أن العاشق مولودٌ

في بستان التشبيه

[5]

صمتي

يا صمت الديجور

يا سرداباً

بين المحوِ وساقية الثنور

يا قبراً

يسرقني للظلمة من أمل النور

[6]

لا أقدر أن أخفي عشقي

أن أسكتَ

فلماذا حالي لا يرضيك ؟

المزار

الشمس تعرف سرَّها الأنوارُ
و النهر تعرف قدْره الأنهار

و مَنِ الذي يعطي الكريمَ كرامةً
إلا الكرامُ ، و كلهم أخيار

يا أمنا ، إنا أتينا طاعةً
لنقولَ إنكِ كوكبٌ سيّار

لنقولَ إنكِ قد أضأتِ طريقنا

أنتِ الدليل ، و أنتِ أنتِ الدار

لنقولَ إنكِ قد زرعتِ قلوبنا

و بذاك نشهد جنة و ثمار

إيمان نشهد أن خيركِ وافرٌ

و بأن بيتكِ للعيون مزار

و حنان نشهد أن بيتك عالَمٌ

بالعلم قام يحثه الإصرار

و البنت آية آيةٌ تفسيرها

نورُ اليقين ، و سنة ٌ ، و شعار

فلكِ المحبة كلها ، و رسولنا

في الحب ريحان الندى المعطار

و إلى فِنائكِ تستعد رحالنا

و على جداركِ تُكتب الأشعار

استر عيوبك

أ ظلمة تحتويكَ الآنْ أم سُكْرُ
ماذا تخْبيءُ خلفَ النور يا بدرُ؟

استر عيوبكَ ، إنْ الوجه ممتقعٌ
جلبابه أزرقٌ ، و ليله غدر

و احذر غرابيبَ ليلٍ حالكٍ أبداً
إذا مشيتَ قليلا ، يُهتك الستر

و انعم بعشقٍ إذا قلّت مآخذه

هو الدواء لمن طارت به الطير

و قل لقلبك إن الله مطلعٌ

و إن أجرك معقودٌ به الصبر

و ارفق بحالته ، نامت ملاءته

و بات يحرس ليلا ما له فجر

و اسكب بوردك عطراً في زجاجتهِ

إذا المياه تخلت عنه ، فالعطر

و اقرأ كتابك في أنوار حضرته
رمزاً ، فسيدنا يحلو له السير

إذا أردت مقاماً ، كان مرشدنا
بعلمه سقط الدجال و السحر

صلاة عشقك ليلا لا تفارقه
أنا و أنت بجسمٍ واحدٍ صدر

فالزم حدودك و ادعُ الله مبتهلا
هنا فقط ، في المقام ، يبدأ العمر

□

□

أنا والكلاب

[1]

أعرف أني

حين ستغمز لي امرأةٌ

ذات قميصٍ شفاف

كي أصعد غرفتها

من شرفتها

فوق ضفيرتها

أعرف أني ...

سأقول : معاذ الله

[2]

حين يبصبص كلب الحارةِ

قبل أذان المغربِ

أدرك أن الكلبةَ

قد حددت الموعد

[3]

حين ضممتُ ابنة جارتنا

وشرعتُ أقبلها

عارضني شالُ أبيها الأزرق

مربوطاً تحت السرّة

[4]

حين أبص من الشرفة

أو من ثقب في نافذتي

أرقب جاراتي في قمصانِ النوم

ويبصبص كلب الحارةِ

قبل أذان المغربِ

أدرك أني

سأقول معاذ الله

حين تراودني امرأة

ربطت تحت السرةِ

شالَ أبيها الأزرق

[5]

حينَ تمرر كوبَ القرفةِ

منْ بينِ أصابعها

فوقَ الطاولة الزرقاء

أعرفُ أني حتماً ، سأقول معاذَ الله ! !

ثلج

أبحث عنها بين حدائق روحي

فأراها في معطفها الثلجيّ الأبيض

تمشي بين فراشاتِ دخانِ سجائرها

سانتا كلاوز يمنحني أجمل ما في هذا العيد

يهديني باقاتٍ من ثلجٍ

فأطوفُ على الجيرانِ

أوزع من بسمتها بعض الحلوى

ثم أعود إلى نفسي وأغنّي

سوف أطير إلى المقهى كل مساء

كي أغسل جسمي من ثلج يديها

أزحف بين ضفائرها

بحثًا عن شيء يدفئني

لكأني حطابٌ

أهوي فوق جذوع النهرينِ

هنا الآن مداكَ

فلا تتقهقر

أسلوكِ

وتسلو الروحَ الروحُ

ولكنْ

تحدرٌ بدمي أنتِ.

دور الحياة

□

□دور الحياة حوائط و حدود

□فلمَ البكاء عليك يا محمود

□

□و قد ارتحلتَ إلى الحقيقةِ ، بينْما

□حبلُ الخْداعِ أمامْنا ممدود

□

□أنت اسْتجرتَ بمنْ يجير ، و إنّ منْ

□ناحوا عليك ، قريبهم مطرود

□

الآن أنزفُ ما تبَقى من دمي

□و أعود ، هل حقا أنا سأعود ؟

□

قد كنتُ أعلم أن ليلك قادم

□و الليل قبل نهارنا موجود□ □

□

فصنعت من وجعي قناديل الهدى

□و دعوته ، و دعاءنا مردود

□

□

□

□يا أم محمودٍ ، أفيضي في

□البكاءِ ،و أكثري ،

□إن البكاء عهود

□

□تطغى على حجر القلوبِ ، و رانها

□و يذوب في بأس البكاء حديد

□

□يا موتُ ، يا صنمَ الحقيقةِ ، طالما

□حلّت بأرضك رهبة و شهود

□

□يتبادلون تحيةً بتحيةٍ

□و يغمغمون ، وفي العيون جليد

□

□

على شفتيك أخلع معطفي و أنام

هناك على الخميلة طائر يبكي

و عند النبع أزهار تخاصمها المياه

و قلبي في تمزقه تراوده الحياه

لأني حين جئتك مفعما باليأس ،

تدفعني يداه

و جدت لديك آنية لأحزاني ،

وجدت الله

على شفتيك أخلع معطفي و أنام ،

يمنحني رضابك منتهاه

فضمني إليك فإنني رجلٌ ،

يعذبه الهروب من السنين

من الأيام ، من وجعي الدفين

أفر إليك ، مسلوب الإرادة ،

أستريح إلى الظنون

فهل تنساب بين يديك أنهار الزوارقِ ،

تستحم سفينتي في ماء غفرانك ؟

دموعي لن تجف على ثيابك

و قلبي سوف يفنى في ترابك

المعطف

معطف البنيّ يلهو معي
إذا رآني ارتهزت أضلعي

إذا تكلم استمعتُ له
و إن تكلمتُ طوى إصبعي

ينهرني كي لا أبوح بما
في القلب أو تفضحه أدمعي

في جيبه لفافتان ، إذا
جعت ، رماهما إلى الجائع

يمشي الهوينى في تمايلهِ

كمن أصاب لذة الرابع

تضمني أكمامه لهفة

فترتمي في حضنها أذرعي

أهرب من فتحات أزراره

فأرتمي منها إلى موضعي

أيكون عشقا ؟

أ أذودُ عنكِ الليلَ و الطوفانَ ،

و الوجعَ المقيمَ ، وأحتسي

منكِ الصدودَ ، وروعةَ الإذلال ؟

أيكون ما بيني وبينكِ صحبةٌ طالت

فطال بها الحنين إلى زوالي ؟

أيكون عشقاً ، والخناجر تستحم على

دمي المسفوكِ دون نزال؟

أيكون ما بيني وبينكِ رغبةٌ

عصفت بقلبٍ ، كان أنقى من ندى الريحانِ

في كفّ الصباح ؟

أ يغادر الصبار شقوته إلى

حضن المياه ؟ مع الأقاح

أ يعود للوطنِ المطاردُ من صباه ؟

هل يستطيع النوم في

كنف الجناة ؟

مالي أحبكِ

كل ما حولي يطاردني ، لأخرج من حدودك

وأنا برغم متاعبي

أرتاح في الطرقات ،تحت خمائل الصفصافِ ،

في عينيك إن قبلتْ دخولي

هل تقبلين مغامراً

ضحّى بأغلى ما لديه لكي يسمى عاشقا

أ أنا أنا ؟

ما زلت نفس الناسك المتوحد ؟

هل تعرفين حكايتي ، في العلم أو في المعبد ؟

هل تقرئين - مع النساء إذا قرأن - قصائدي؟

هل يذكر العشاق تاريخي

إذا ذُكر الأوائل في المعالي

مالي أنا بالعشق مالي؟

عجباً لهذا العاشقِ المجنونِ

يرسف في قيود العشق ثانيةً ،

وثالثةَ ، يعالج حسرةً من حسرةٍ ، ويعود

وإذا تورم كاحلاه من الركوعِ ،

غفا قليلاً ، واستراح إلى السجود

في عزلة سيعيش عمراً تلو عُمرٍ

يَنسجُ الأحلامَ نسجاً ، من خيالِ

بالخندريس تنام حيرته ، ويصحو جرحهُ

عند السؤال

أوَ تعجبين لمَ التدله فيك

كيف صنعتُه ألقاً ، وأجريتُ الجداولَ

في جنانك

وأرى بعينيكِ اندهاشاً ،لست أنكرهُ

وكيف لمن بعينيك استوى ،

ألا تؤجج صبرَه نارُ اندهاشك ؟

ليت الذي بيني وبينك لم يكن

هل يصرخ الملدوغ في صمت الليالي؟

هل يركض المصروع في الفلواتِ

يبحث عن جواد للطريق؟

أ من العدالةِ أن يفيق؟

قال الطبيب : علاج قلبك في الرضاب

وأشار آخرُ :

رأسك المعطوب ينفعه التداوي بالمحبةِ

إن من تهوى إذا مسّت أناملها جبينكَ

عالجتَك من الغياب

يا ليتنا كنا وحوشا في الفلاةِ

فيقتنِص الأقوى الضعاف

ونعيش في شغف الحياة ، لكي نخاف

وإذا تمرد طائر غنّى بغير مهابةٍ

جُمعت لقتله الجوارح في الأعالي

مالي أنا بالعشق مالي ؟

هل تعلمين ؟

قلبي مريض من سنين

أترصدُ الضوءَ الإلهيّ المسافرَ في العيون

وأدورُ خلفك في الشوارع ممسكاً بعمامتي

لي هيبةٌ لا ينبغي لي أن تضيع

إن باع كل الناس ما أعطيتِهم

أنا لا أبيع

حبات مسبحتي إذا انتثرت ،

تهاوى بيتنا العالي

مالي أنا بالعشق مالي

لا تمنعي عينيك عني

لا تمنعيني

أخشى الخروج من الجنان إلى الجنون

عيناكِ ،

لا أدري لماذا خانني قلمي

فلم أكتب - برغم براعتي -

وصفاً يكافيء سحر عينيك

عيناكِ ،

لا أدري بأى سفينةٍ

أجتاز ما بيني وبينكِ ،

ثم أسقط منهكاً فى راحتيك

عيناكِ ،

كيف تلونتْ بالصبح ، حينَ

تساقط الليل القبيحُ

على وجوه الغانيات

أيكون قلبي في الطريق إليكِ ،

قد مات؟!

طس

أسئلة بحجم مصيبتي

السيف في كبدي

دمي ينساب رقراقاً كصافيةِ الغدير

والنبضُ - نبضُ القلب - صار طبول حربٍ

أو نفير

وأنا كخفاشٍ أضاع الضوءُ منزله الأثير

أبقى وحيداً في العراء بلا جناحٍ ،

كيف أحتملُ الهزائمَ والصفير ؟

وكما تدل البعرة الملقاة في عرض الطريقِ

على البعير

وتدل آثار المسير على المسير

آثار من ساروا هنا

أفلا أدل أنا .. على عشقٍ

تناقله الحواضر والبوادي؟

من رائحٍ في صمته أو غادي

يتمدد الجسد النحيل على أريكة حزنهِ

ويغيب في وجع الحداد

وطني هنا ... وطني هناكَ ،

فمن أنا ؟

أيكون ما بيني وبينك قصةٌ أخرى

لآلاف الرواة

طس

وجعٌ دفينٌ ،

أم هي الأنات يعرفها الأنين

الحزن لي

وبلادة الفرح استوت للقاعدين

ودمي سخيٌّ في تدفقهِ ،

الشوارعُ ظامئاتٌ ، كيف أشبعها أنا

وحدي ، وكيف أمر من ضيقٍ لضيق

ودمي هو المسك المصفَّى في براءتهِ ،

أليس دمي يرادفه اليقين ؟

من قاتلي ؟ هل تعرفين ؟

من قاتلي عمدا ؟

يا عاذلي

لو ذقتَ ما ذقنا ، وعانيتَ الصعودَ

لجئتَ هرولةً إلى عشقٍ

ترى المعشوقَ دون حوائلِ

يا زائلاً من زائلِ

غرّدْ كما شاءت لك الأنغامُ ،

يا طير الربا

وامنح مسامعنا مقاماتٍ اقترابٍ

ليس بين العاشقين من استراحَ ،

وإنما هو من صَبا

يا عاشقاً من عاشقين

طاوعتَ قلبكَ في التدلّهِ والحنين

حتى تداولك الرواةُ ، وصرتَ في عزفِ القيانِ

أعزّ لحنٍ ، كيف قادتك المدارجُ

لاصطحاب السافلين ؟

طس

أ وَ ليس لي حقُ التشهي ،

كنتُ أحسبُ أنني الأولى بحبكِ

إذ تلقتنا الحوادث تحت زنديها معا

وتبرأتْ منا العشيرة إذ

تعشقنا الرضاعة من صدور الغيمِ

حين تحالفت كل القبائلِ ،

كي نذل ونخضعا

هل تذكرين وقد رقصنا في الشوارعِ

إذ أتى الملكُ الحكيمُ بجيشهِ ،

وهدا هدُ السلطانِ تنقلُ بشرياتٍ أربعا

هل تذكرين إذ انتحبنا يوم مات الوعلُ

تحت خميلتي ؟

أحبيبتي !!

كيف ابتعدنا هكذا؟

كيف استمرت غفلتي

فخُدعتُ عنكِ ،

وكنتُ أحسبُ أنني لن أُخدعا !!

أنا لا أخون

آتٍ إليك مع الصدى

فأنا بمحرقةٍ تسفه كل محرقةٍ

أعود إلى مياهك ظامئا

النيل نيلي ، والنخيل عمامتي

كيف احترقت ، وكيف أظمأ

والسبيل سبيل جدي

كنا تعاهدنا

على ألا نخون

من خان عهدي ؟

أنا لا أخون

أ و لستِ أنت من استراحَ

على جماجم عشقنا طولَ النهار ؟

وأتى مساءً في العزاءِ

يهزُّ خاصرتي

ويبصق في وجوه الحاضرين دما وقيحا ،

واستدار ؟

أ وَ لم تكوني أنتِ من

ألقى كتابي للرياحِ ،

و لاذ ليلا بالفرار ؟

وخرجتِ للدنيا بصاحبكٍ الجنون

أ وَ لستِ أنتِ ؛ إذ العيون هي العيون

أنا لا أخون

أنا لم أكن يوماً حقيراً

لا .. و لا قلبي شقيّ

ديني هو الإخلاص في عشقي

فلست برافضيّ

الكل يعرفني و يعرف سيرتي

قلبي هو المغدور في العهد السليبِ ،

و ماتَ في أيلولَ صاحبه التقيّ

قد يستباح دمي ؛

و تهجرني البلاد مع العيون

لكنّ عشقي لا تحاصره الحدود ،

و لا تحاكمه الظنون

أنا لا أخون

السر

أنَّى يظل السرُّ سرًا ،

حين أنزف في الشوارعِ

تكتب القطرات دون تعمدٍ :

أنا لا أبيع حياتي

سر سيبقى ، أم ستفضحه العيون؟

حتى متى أجتر آهاتي ،

وأكبت ريشتي ودواتي؟

وإلى متى تبقين رهن متاهةٍ

صنع التوهم بابها ،

وصنعتِ أنتِ بقية الحارات

سري سيبقى ،

أم سيفشو سرنا يوماً

لتعرف عشقنا الأزهار والأطيار والأشجارُ

والسحب السخية بالمطرْ

كم ذا أتوق إلى صفاءٍ

لا تخالطه المواجع والكدرْ

أيظل ما بيني وبينك لا ترددهُ الرياحُ ،

ولا يغنيه القمرْ ؟!

أيظل سراً ذلك العشق الفريدُ

بصمته وجلاله

وأضيع ما بين الصحائفِ ،

تارةً بجوابهِ ، أو تارة بسؤاله

ما سر ما بيني وبينك؟

ما سر ما بيني وبينكِ؟

كي أسلم للماليك البلادَ،

ومُلك أجدادي ؟!

وأبيع في سوق النخاسةِ

ما تبقى من عبيدٍ ،

أو ورثت من الأميرات

أ يكون سحراً ، أو كهانة كاهنٍ ،

أو بيت شعر قد تمكنَ

من قصيدة ذاتي ؟

أرويه للآتين من بعدي ،

ويُحفر بعد موتي في عظام رفاتي

ماذا يخبيء ذلك المجهول في عينيكِ ، ماذا ؟

وإذا تضيع الآن عاصمة البلادِ ،

فكيف أزعم أنني ملكٌ ، وأن العرش عرشي ؟؟

مولاتي

صبرا أيا مولاتي

ماضٍ إلى قدري؟

يحيك الدهر آلامي وأنّاتي

وبعادك المحتوم يعلن في المدائنِ

موعداً لوفاتي

تتكالب الدنيا على بيتي فأصرخ ساجداً

يا رب بيتي ، إخوتي ، مولاتي

هذي الهزائمُ ،

كيف شبّ حريقها

فدفنت آلاف الأحبةِ

غير من ضاعوا بكل فلاة

قسماً بحبك لن تضيع قصيدتي

ودمي ستبقى في الكتاب حروفهُ

لا لن أبيع حياتي

الغريب

تغربتُ في كل أرضٍ

وطأطأتُ رأسي على كل باب

فماذا جنيتُ

سوى الركض للمستحيل

و خطُّ الوصول .. سراب

تعلمتُ منكَ التسولَ

في الحافلاتِ ،

أمام المساجدِ،

بين القبور

تعلمتُ كيف أغلّف ذلي

ببعض الشموخِ

وأُلبس كوخـي الصغير ثياب القصور

فماذا جنيتُ

سوى صفعة فاقرة

هنا الآخرة ؟

هنا يستوي الظل بين الحرور

فكيف سأقطع تلك المسافةَ

بين الغياب ، وبين الحضور ؟

ومن يهتف الآنَ : آن الأوان ؟

أليس لهذا الكيان الضئيل مكان ؟

تغربتُ في كل وجهٍ

لعلي أصادف شبه ابتسامة

فطالعتُ ألف كتابٍ عن الهم والسادرين

كأني بهم يُعرضون ليوم القيامة

تغربتُ بعد أبي يومَ مات

كمن ظلَّ يمشي قروناً على صهوةِ الفلوات

أنا طائرٌ لم يجدْ في العوالمِ عشا

فقد حرمته المنافي نخيلاً وقشا

بكائي سيبقى

وتبقى الحوائط دوني

ولكنّ سقفاً سينهار فوقي

قد انهار فعلا

هو الحق لا ريب فيه

ولكنْ تمرّ الحوادثُ

فصلاً ، ففصلا

أنا حجةٌ في الهشيمِ ،

إذا ما ذرته الرياحُ

وصوتي شجيٌّ

إذا عمّ بين البواكي النواحُ

لماذا اخترعتَ الأسى

وجاوزتَ في عشقه كل حدّ

وطفتَ الموانيءَ قبل المطاراتِ

تبحثُ عن طيفك المستبدّ

أبي مات سرا

لأنّ نواح البواكي بخيل

أبي مات جهرا

فقد غاب ظلٌّ ، وقد جف نيل

لأن الذي مات ، كان البلادَ ،

وكان العبادَ ،

وكان التطلع للممكناتِ

وكان التعلق بالمستحيل

وما بين همٍ ثقيلٍ ، وهمٍ ثقيل

أمرّ وحيداً، بغير دليل

تغربتُ بين المعاجمِ،

أبحثُ عن لفظةٍ قد تعاني معي

فلم ألقَ في زحمةِ المرجعِ

سوى لفظة للعنا

.... أنا

دالية الماحي

وَجَعي تَنُوءُ بِهِ الجبالُ إذْا اهتْدى

فامنُنْ علَيْنا ، قدْ لزِمنا المْسجِدَا

يا خالقي ، ضِعنا كثيراً بينْما

كنا نعالجُ صبرَنا المتردِّدَا

حاشاَ لِنُورِكَ أنْ يَغِيبَ هُنَيْهَةً

ولِفَيْضِ جوُدِكَ أنْ يَقِلَّ و يَنْفَدَا

أرسلْتَ قَبْساً مِنْ ضيائكَ سافراً
فَهَدى العقولَ الحائراتِ ، و أرْشَدَا

ساداتُنا عَبَدُوا العُجُولَ ، و أُشْرِبُوا
لَوْ أَدْرَكُوا،في الْقَلْبِ عِجْلاً واحِدَا

[زُلْفَى تُقَرِّبُنَا] اسْتَبَدَّ حِصارُهَا
تَأْبَى مِيَاهُ الْبِئْرِ أنْ تَتَجَدَّدَا

[إنَّا وَجَدْنَا] فالْوِرَاثَةُ لَعْنَةٌ
لِمَنِ اتَّقَى بالنَّارِ جَنَّةَ أحْمَدَا

أَ إِذَا بَلِينَا ثُمَّ عَوْدَةُ مَيِّتٍ؟
أَ وَ لَيْسَتِ الأُولَى أَشَدَّ وَ أَبْعَدَا؟

اللاّتُ كَالسُّلْطَانِ ، وَ الْعُزَّى
بِدِينَارٍ،
فَجَهْلُ الْقَوْمِ صَارَ مُوَحِّدَا

سَقَطَتْ تَمَاثِيلُ التَّعَدُدِ كُلُّهَا
بَلْ أَسْقَطَ الْعَقْلُ الْجَدِيدُ تَعَدُّدَا

يا خَيْرَ خَلْقِ اللهِ ، أَنْتَ زَعِيمُنَا
حَسْبِي اتِّبَاعُكَ كَيْ أَفِرَّ مِنَ الرَّدَى

وَهْمُ التَّصَوُّرِ أَنْتَ جِئْتَ مَحْوَتَهُ
أَنَّى لِدِينِ الْقَوْمِ أَنْ يَتَبَدَّدَا

الْبَعْثُ أَصْلٌ ، والْحَيَاةُ مَرَاحِلٌ
دُنْيَا ، وَ بَرْزَخُ ، فَانْتَظِرْ ذَا الْمَوْعِدَا

مِيعَادُ ، أُخْرَى ، وَالْخُلُودُ حُدُودُهَا
فَاعْلَمْ حُدُودَكَ ، شِرْعَةً وَعَقَائِدَا

يَا سَيِّدِي ، أَنْهَيْتَ مَجْتَمَعَ الْخَنَا
وَأَقَمْتَ لِلدُّنْيَا نِظَاماً رَاشِدَا

قَامَتْ عَلَى أُسُسِ الْعَقِيدَةِ دَوْلَةٌ
الْعَبْدُ فِيهَا صَارَ حُرًّا سَيِّدَا

مَنْ عَلَّمَ البَدَوِيَّ رِبْعِيًّا
مَقَالَتَهُ ؟،
وَحَقَّ لِقَوْلِهِ أَنْ يَخْلُدَا

اللهُ أَرْسَلَنَا لِنُخْرِجَ خَلْقَهُ
مِنْ جَوْرِ أَدْيَانٍ تُهُدُّ الْمَعْبَدَا

لِعَدَالَةِ الْإِسْلَامِ ، أَعْظَمِ نِعْمَةٍ
جَعَلَتْ طَرِيقَ الْعَالَمِينَ مُمَهَّدَا

كَيْ يَخْرُجُوا مِنْ ضِيقِ دُنْيَاهُمْ إِلَى
سَعَةٍ تُزَوِّجُ حَاضِرًا ذَاكَ الْغَدَا

مَنْ جَمَّعَ الْحَبَشِيَّ بِالرُّومِيِّ دُونَ تَمَايُزٍ
وَالْفَارِسِيَّ بِهَاشِمٍ ، غَيْرُ الْهُدَى ؟

مَنْ أَسْقَطَ التَّمْيِيزَ دُونَ هَوَادَةٍ
بَلْ عَدَّهُ جَهْلاً وَظُلْماً سَائِدَا

مَنْ رَقَّقَ الْقَلْبَ الْعَصِيَّ بِآيَةٍ
فَانْسَابَ رَقْرَاقاً ، وَطَارَ مُغَرِّدَا

مَنْ أَذْهَلَ الدُّنْيَا بِحُبِّ مُحَمَّدٍ
لَمَّا تَحَوَّلَ فِي الْقُلُوبِ قَصَائِدَا

هَذَا اجْتِهَادِي فِي الْقَرِيضِ أَعُدُّهُ
عَجْزًا تَمَلَّكَنِي فَصِرْتُ مُقَيَّدَا

تَنْأَى الْعِبَارَةُ وَالْحُرُوفُ عَصِيَّةٌ
كَرٌّ، وَ فَرٌّ بَيْنَنَا، قَدْ أَجْهَدَا

فَالْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ تَعَاظُمِ قُدْرَتِي
وَالْحُبُّ بِالْأَشْعَارِ لَنْ يَتَحَدَّدَا

الْحَقُّ حَقٌّ طَالَمَا اجْتَنَبَ ،
الْبَيَانَ ،
فَإِنْ تَلَبَّسَ بِالْبَيَانِ تَمَرَّدَا

فَالْحَمْدُ كُلُّ الْحَمْدِ يَا رَبَّ الْوَرَى
حَمْدًا يَلِيقُ ، فَقَدْرُنِي أَنْ أَحْمَدَا

فَاغْفِرْ إِلَهِي ذَنْبَ عَبْدِكَ طَارِقٍ
وَاجْعَلْ شَفَاعَتَهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدَا

الناشر

دار الإسلام للطباعة و النشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٩/١٧٧٤٦

الترقيم الدولي 978-977-732-487-3